آداب الاختلاف في الحوار

The Etiquette of Disagreement in Dialogue

سليم محمد عايش

Salīm Muḥammad ʿĀyish

جامعة سامراء / كلية العلوم الإسلامية / قسم الشريعة

University of Samarra / College of Islamic Sciences / Department of Sharia

07726980367

أ.د. باسم محمد صالح

Prof. Dr. Bāsim Muḥammad Ṣāliḥ

جامعة سامراء / كلية العلوم الإسلامية / قسم الشريعة

University of Samarra / College of Islamic Sciences / Department of Sharia

الكلمات المفتاحية: آداب الاختلاف، الحوار العلمي، الفقهاء، التفاهم، الاحترام المتبادل، الأبعاد النفسية واللفظية للحقائق.

Keywords: Etiquette of disagreement, scholarly dialogue, jurists, understanding, mutual respect.

الملخص

يعتبر الاختلاف بين الفقهاء أمر طبيعي بين أهل العلم، ولأنه سنة الله تعالى في اقتضت التنوع والتعدد بين خلقه، قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾(سورة الروم، الآية 22)

وهذا الاختلاف الفقهي مبناه على تنوع الأدلة الشرعية، ففيه تخفيف ورحمة للأمة، ولكن هذا الاختلاف له آداب يلتزم بها الفقيه، ويعد من ضوابط الشرع الحنيف، إذ جعل لكل قول محط نظر واحترام في مخالفة الرأي الآخر، لأن مبنى دليل الفقيه يجب أن يكون وفق طاقات الخير والصلاح ويحقق الإصلاح بين العباد في جميع أقوال أهل العلم، بأن يلتزم بهذه الضوابط الشرعية فيما بينهم.

Summary:

Differences among jurists are a natural phenomenon among scholars, as they are part of Allah’s established way, which entails diversity and multiplicity among His creation“.Among His signs are the creation of the heavens and the earth, and the diversity of your languages and your colors. Indeed, in that are signs for those of knowledge”. This juristic disagreement is rooted in the diversity of legal evidence, and within it lies ease and mercy for the Ummah. However, such differences are governed by etiquettes that the jurist must observe and are considered among the guiding principles of Islamic law. Each opinion is therefore accorded due consideration and respect when differing with others, since a jurist’s reasoning should be grounded in the pursuit of goodness and righteousness and should aim at achieving reconciliation and reform among people. This is realized when scholars adhere to these Islamic principles in their scholarly interactions.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فإن من جمال الشريعة الإسلامية أنها تصلح لكل زمان ومكان، ولذلك جعل المولى جل جلاله الهدف الأساس هو جلب المصالح ودفع المفاسد للأمة، ومن تلك المصالح اختلاف الفقهاء في المسائل الفقهية فيما بينهم؛ بسبب تعدد طرق استنباط الأدلة، ولأن عقول المجتهدين غير متساوية، بل تتفاوت في الفهم والاستنباط، ولذلك كان لهذا الاختلاف والمحاورة آداب يجب على الفقيه أن يلتزم بيها، فهناك آداب الاختلاف النفسية، والعلمية، والكلامية، ولكل منها ضوابط وأُسس مهمة، ولذلك وجدت لهذا الموضوع أهمية فأحببت أن أُسلط الضوء على هذه الآداب وبيانها وتوضيحها، فقد قسمت بحثي المتواضع إلى ثلاثة مطالب: الأول: آداب الحوار النفسية في الاختلاف، والثاني: وآداب الاختلاف العلمية، والثالث: آداب الاختلاف اللفظية، وخاتمة.

فأسأل الله تعالى أن يجعل بحثي هذا نافعاً لي ولكل من يقرأه، والحمد لله رب العالملين وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اشكالية البحث: ما هي التبعات العلمية والاجتماعية لغياب هذه الآداب في الحوار الفقهي المعاصر؟

المنهج الذي اتبعه الباحث: هو المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي من خلال استقراء النصوص الشرعية وتخرير أقوال العلماء وتطبيقها عل آداب الحوار.

الدراسات السابقة: هناك العديد من كتب اداب الاختلاف؛ منها: اختلاف الفقهاء للطبري، واسباب اختلاف الفقهاء، للدكتور هاشم جميل، وايضا هناك كتاب للقرافي، والاختلاف الفقهي واسبابه وآثاره، للدكتور أياد محمد صبحي، والعديد من الدراسات الآخر، ولكن ما ميزت بحثي به هو التركيز على الربط بين الجانبالنفسي واللفظي لدى الفقهاء.

المبحث الأول: آداب الاختلاف في الحوار

ينقسم الى ثلاثة اقسام: آداب الاختلاف النفسية وآداب الاختلاف العلمية، وآداب الاختلاف اللفظية:

المطلب الأول: آداب الحوار النفسية في الاختلاف

هناك آداب تتعلق بنفسية المختلف للمحاور وشخصه، وهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار في الاختلاف فتؤثر فيه تأثيراً سلبياً، فينبغي مراعاة ذلك حتى يحقق هدفه وينمي الحوار في نتائج الاختلاف غاياته ويؤتي ثمراته وأهم هذه الآداب النفسية:

أولاً – تهيئة الجو المناسب للحوار في الخلاف:

فلابد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية، لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء؛ وينبغي اختيار المكان الهادئ وإتاحة الزمن الكافي للحوار عند الاختلاف؛ وكما ينبغي مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف الآخر، فلا يصلح أبداً أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي أو النفسي، لأن هذه الأمور ستؤثر في الحوار ومن الوسائل في تهيئة الجو المناسب للحوار في الاختلافات:

1 – التعارف بين الطرفين

2 – طرح أسئلة في غير موضوع الحوار لتهيئة نفسية الطرف الآخر

3 –الحوار في الخلاف يتقدم بكلمات مناسبة ومقدمات لطيفة تلفت انتباه الطرف الآخر(بن عبدالله، 2004، 7)

ثانياً – الإخلاص وصدق النية:

ولابد من توفر الإخلاص لله وحسن النية وسلامة القصد في الاختلاف والمناظرة، وأن يبتعد المناظر عن قصد الرياء والسمعة، والظهور على الخصم والتفوق على الآخرين، والانتصار للنفس، وانتزاع الإعجاب والثناء، ومن دلائل الإخلاص لله والتجرد لطلب الحق أن يفرح المحاور إذا ظهر الصواب على لسان مخالفه، كما قال الشافعي: "ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة، وكان يقول: ما ناظرت أحدًا قط، فأحببت أن يخطئ، وكان يقول: ما كلمت أحدًا قطُّ، إلا ولم أبالِ بيّن الله الحقَّ على لساني أو لسانه"(البيهقي، 2017، 596/2)

ويعينه على ذلك أن يستيقن أن الآراء والأفكار ومسالك الحق ليست ملكاً لواحد أو طائفة، والصواب ليس حكراً على واحد بعينه(زمزمي، 1994، 130)

ثالثاً – الإنصاف والعدل:

من المبادئ الأساسية في الاختلاف والحوار: العدل والإنصاف، ومن تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم، والتفريق بين الفكرة وقائلها، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة

الجيدة، ومن نماذج الإنصاف ما ذكره الله – سبحانه – في وصف أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾(سورة ال عمران، الآية 113)

رابعاً – التواضع وحسن الخلق:

إن التزام الأدب وحسن الخلق عموماً، والتواضع على وجه الخصوص له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى المخالف من محاوره توقيراً وتواضعاً، ويلمس خلقاً كريماً، ويسمع كلاماً طيباً، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره، ويفتح قلبه لاستماع رأيه، وفي الحديث الصحيح : (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو، إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) (مسلم، د.ت، 2001/4)؛ أي بمعنى يرفع منزلته في الدنيا عند الناس، وكذلك يرفعه في الآخرة ويزيد من ثوابه فيها بتواضعه في الدنيا، ومما ينافي التواضع هو العجب والغرور والكبر (بن عبدالله، 2004، 9)

خامساً – الحلم والصبر:

يجب على المختلف المحاور أن يكون حليماً صبوراً، لا يغضب لأتفه سبب، ولا ينفر لأدنى أمر، ولا يستفز بأصغر كلمة؛ فقد أمر – سبحانه – نبيه بأخذ العفو وإعذار الناس وترك الإغلاظ عليهم كما في قوله تعالى﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(سورة الأعراف، الآية (199)

قال السعدي رحمه الله: "هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم"(السعدي، 2000، 313)

والصفح والعفو أبلغ من كظم الغيظ ورد الغضب، عند الاختلاف؛ لأن العفو ترك المؤاخذة، وطهارة القلب والسماحة عن المسيء، ومغفرة خطيئته وأعظم ذلك وأكبر هو دفع السيئة بالحسنة، ومقابلة فحش الكلام بلينه، والشدة بالرفق، ورد الكلمة الجارحة بالكلمة الطيبة العذبة، والسخرية والاحتقار بالتوقير والاحترام، وهذه منزله لا يصل إليها إلا من صبر وكان ذا حظ عظيم: قال تعالى:﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(سورة فصلت، الآية 34–35)

سادساً – الرحمة والشفقة:

إن المحاور المسلم المخلص الصادق يحرص عند الاختلاف على ظهور الحق، ويشفق على خصمه الذي يناظره من الضلال، ويخاف عليه من الإعراض والمكابرة والتولي عن الحق؛ فالرحمة والشفقة أدب مهم جداً في الاختلاف والمحاورة، لأن المحاور يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم، فلذلك يبتعد عن كل معاني القسوة والغلظة والفظاظة والشدة. فلا يكون الحوار فرصة للكيد والانتقام، أو وسيلة لتنفيس الأحقاد، وطريقة لإظهار الغل والحسد، ونشر العداوة والبغضاء، والرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله، وكلما اتضحت معالم الرحمة على المحاور كلما انشرح صدر الخصم، واقترب من محاوره، وأذعن له واقتنع بكلامه(بن عبدالله، 2004، 9)

يقول – سبحانه – مخاطباً نبيه قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(سورة ال عمران، الآية 59)، ولذلك كان الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم يصرحون بالخوف والحرص والشفقة عليهم، ومن نماذج ذلك تصريح مؤمن آل فرعون لقومه بالرحمة والشفقة والخوف عليهم في أكثر من موضع. قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾(سورة غافر الآية 30–35)

سابعاً – العزة والثبات على الحق:

إنّ المحاور المسلم في الخلاف يستمد قوته من قوة الدين، وعظمة الإيمان، فلا يجوز أن يؤدي الحوار بالمسلم إلى الذلة والمهانة. والعزة الإيمانية ليست عناداً يستكبر على الحق، وليست طغياناً وبغياً، وإنما هي خضوع لله وخشوع، وخشية وتقوى، ومراقبة لله سبحانه(شرف الدين، 2000، 347/12)

ثامناً – حسن الاستماع:

لابد للمحاور الناجح أن يتقن فن الاستماع لكي يخرج في الخلاف يحاوره بثمرة(زمزمي، 1994، 236 – 246)، فكما أن للكلام فناً وأدباً، فكذلك للاستماع، وليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره، ففرق بين الحوار الذي فيه تبادل الآراء وبين الاستماع إلى

خطبة أو محاضرة، ومما ينافي حسن الاستماع : مقاطعة كلام الطرف الآخر، فإنه طريق سريع لتنفير الخصم إضافة إلى ما فيه من سوء أدب، كما أنه سبب في قطع الفكرة مما يؤثر في تسلسل الأفكار وترابطها، ويؤدي إلى اضطرابها ونسيانها؛ وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تماماً، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه من قبل أن يتمه، والاستماع إلى الطرف الآخر وحسن الإنصات، تهيئ الطرف الآخر لقبول الحق، وتمهد نفسه للرجوع عن الخطأ(زمزمي، 1994، 237)

تاسعاً – الاحترام والمحبة على رغم الخلاف:

الخلاف أمر واقع لا محالة، ولكن لا يجوز أن يؤدي الخلاف بين المتناظرين الصادقين في طلب الحق إلى تباغض وتقاطع وتهاجر، أو تشاحن وتدابر، فأخوة الدين، وصفاء القلوب، وطهارة النفوس فوق الخلافات الجزئية، والمسائل الفرعية، واختلاف وجهات النظر، لا ينبغي أن يقطع حبال المودة، ومهما طالت المناظرة، أو تكرر الحوار، فلا ينبغي أن تؤثر في القلوب، أو تكدر الخواطر، أو تثير الضغائن، لقد اختلف السلف فيما بينهم، وبقيت بينهم روابط الأخوة الدينية، فهذان الخليفتان الراشدان، أبو بكر وعمر "رضي الله عنهما" يختلفان في أمور كثيرة، وقضايا متعددة، مع بقاء الألفة والمحبة، ودوام الأخوة والمودة، ومع هذا الخلاف بينهما إلا أن كل واحد منهما كان يحمل الحب والتقدير والاحترام للآخر، ويظهر ذلك من ثناء كل واحد منهما على صاحبه(بن عبدالله، 2004، 14)

المطلب الثاني: آداب الحوار العلمية في الاختلاف

أولاً – العلم:

العلم شرط أساس لنجاح الحوار عند الاختلاف وتحقيق غايته، وبدونه لا ينجح حوار، ويهدر الوقت ويضيع الجهد، فيجب على المحاور ألا يناقش في موضوع لا يعرفه، ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والاحترام.

ثانياً – البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق:

بين كل متناظرين مختلفين حد مشترك من النقاط المتفق عليها بينهما والتي يسلم بها الطرفان، والمحاور الناجح هو الذي يظهر مواطن الاتفاق. والبدء بالأمور المتفق عليها يساعد على تقليل الفجوة، ويوثق الصلة بين الطرفين، ويعيد الحوار هادئاً هادفاً، أما إذا كان البدء بذكر مواضع الخلاف وموارد النزاع فإن فرص التلاقي تقل، وفجوة الخلاف تتسع، كما أنه يغير القلوب، ويثير

النفوس للغلبة دون النظر إلى صحة الفكرة، فالبدء بالنقاط المشتركة يساعد على تحرير محل النزاع، وتحديد نقطة الخلاف، ويفيد في حسن ترتيب القضايا والتدرج في معالجتها.

ثالثاً – التدرج والبدء بالأهم:

إن المحاورة في الاختلاف الناجح هو الذي يصل إلى هدفه بأقرب طريق، ولا يضيع وقته فيما لا فائدة منه، ولا علاقة له بأصل الموضوع، فمعرفة الأهم والبدء به يختصر الطريق، وأوضح الأمثلة على ذلك بدء الأنبياء – صلوات الله عليهم وسلامه – بأهم قضـية وأكبر غايـة، وهي الدعوة إلى عبـادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾(سورة النساء، من الآية 36) قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، ومع التأكيد على هذا الأدب – البدء بالأهم – وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ قبل أن يدعوهم الى عمل آخر فقد يحتاج المحاور إلى أن يتدرج ويتنازل مع خصمه، ويسلَم له ببعض الأمور تسليماً مؤقتاً حتى يصل إلى القضية الأم والمسألة الأهم، ومن نماذج هذا الأسلوب ما اتبعه إبراهيم مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك(بن عبدالله، 2004، 297)، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾(سورة فصلت، الآية 5)، فكان الرد عليهم بتوضيح القضية وتبسيط المطلوب واجلاء الأمر قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(سورة فصلت، الآية 6)

وهي نفسها القضية التي بدأ بها يوسف عليه السلام في دعوة السجناء قبل أن يعبر لهم رؤياهم، أو يسترسل معهم في حديث فقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾(سورة يوسف، الآية 39–40)

قال الشيخ السعدي رحمه الله: في ذكر الفوائد من قصة يوسف عليه السلام: (ومنها: أنه يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي، وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف – لما سأله الفتيان عن الرؤيا – قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له) (السعدي، 2000، 407/1)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة) (ابن حجر، د.ت، 14/4)

رابعاً – الدليل:

إن أهم ما ينجح الحوار بين المتخالفين هو الدليل، ولابد من إثبات صحة الدليل، كما قيل: "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل"(الشوكاني، د.ت، 907/2). ولا يحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية. فدليلان قويان لا يمكن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها، إذ ربما يستغلها الطرف الآخر، فيضعف الفكرة ويسيء إلى موقف صاحبها بسبب الأدلة الضعيفة؛ ومتى وجد الدليل وثبتت صحته، فلابد من صحة دلالته على المطلوب، ولابد من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود(بن عبدالله، 2004، 16)

خامساً – ضرب الأمثلة:

إن المحاور الناجح هو الذي يحسن ضرب الأمثلة، ويتخذها وسيلة لإقناع محاوره، إذ أن الأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحاً وبياناً؛ ولما للأمثلة من دور كبير في تقريب المعاني والإقناع بها، فقد اعتنى القرآن بها كثيراً، وأشار إلى أهميتها وبيان هدفها:﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(سورة الحشر، الآية 21) وقال سبحانه وتعالى﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(سورة ابراهيم، الآية 25)

سادساً – العدول عن الإجابة:

إن الأصل في الاختلاف في الحوار الناجح أن يبنى على الإخلاص والتجرد للحق والصدق والوضوح، ولكن قد تتعذر هذه الصفات في الخصوم، فقد يكون الخصم يهوى الجدال والمراء، ويقصد إضاعة الوقت والتهرب من الحوار الجاد، وقد يلقي أسئلة لا قيمة لها ولا تفيد شيئاً بالحوار، ففي مثل هذه الأحوال يعدل المحاور الناجح عن الجواب المباشر للسؤال المطروح، إلى جواب مفيد مهم؛ وذلك باستخدام الأسلوب الحكيم(زمزمي، 1994، 474)

ومن ابرز الأمثلة قول الله تعالى﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(سورة البقرة، من الآية 215) ؛ فهذا السؤال عن نوع ما ينفقون فجاءهم الجواب عن صفة الإنفاق ويحدد كذلك أولى مصارفه وأقربها ، أي سألوا عمَّا يُنفقون، فأُجيبوا ببيانِ المصرف؛ تنزيلاً لسؤالهم منزلةَ غيره؛ فيكون على هذا القول من الجوابات التي عُدِلَ بها عن السؤال، التي جاءت وفق الأسلوب الحكيم(الإزيرجاوي، 2002، 47/1)

سابعاً – الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ:

إن من أهم الآداب والصفات التي يتميز بها المحاور الصادق عند الاختلاف مع خصمه أن يكون الحق ضالته، فحيثما وجده أخذه، والعاقل هو الذي يسلم بخطئه، ويعود إلى الصواب إذا

تبين له، ويفرح بظهوره، ويشكر لصاحبه إرشاده ودلالته إليه، والتسليم بالخطأ صعب على النفس، خاصة إذا كان في مجمع من الناس، فهو يحتاج إلى تجرد لله وصدق وإخلاص، وقوة وشجاعة(بن عبدالله، 2004، 18)

ثامناً – التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم:

إن الهدف من الحوار في الاختلافات هو الوصول إلى الحق، فعلى المحاور أن يتجنب أسلوب الإفحام والإسكات، لأنه يترك في نفس المحاور حقداً وغيظاً وكراهية، ولكن يلجأ المحاور إلى التحدي والإفحام مع من استطال وتجاوز حدود الأدب، وطغى وظلم وعادى الحق وكابر مكابرة بينة ولجأ إلى الاستهزاء والسخرية، ونحو ذلك(زمزمي، 1994، 416)، وفي مثل هؤلاء جاءت الآية الكريمة ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾(سورة النساء، الآية 148)

ولما أمر الله – سبحانه – بالتلطف في المناقشة – حتى مع الكفار – استثنى حالة إذا ما ظلموا وبغوا، فلا ينفع معهم الرفق واللين، بل يستعمل معهم الغلظة والشدة: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(سورة العنكبوت، الآية 46)

المطلب الثالث: الآداب اللفظية والمحذورات في الاختلاف

وأعني بها هي الآداب التي تتعلق بالألفاظ المختارة، والكلمات المنتقاة، والعبارات المناسب، وحيث إن الحوار في الاختلاف – غالباً – ما تصاحبه الرغبة في الظهور على الخصم، والخوف من الانهزام أو الإحراج أمام الآخرين، فربما انعكس أثر ذلك على ألفاظ المحاور، فيزل لسانه، ويلقي كلمة خشنة، فلابد للمحاور أن يدقق ألفاظه ويراعي كل عبارة يتفوه بها، حتى يستقيم الحوار، ويحقق نتائجه، ويؤتي ثماره؛ وأهم الآداب اللفظية:

أولاً – الكلمة الطيبة والقول الحسن:

لقد أمر الله – عز وجل – بدعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال سبحانه﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(سورة النحل، الآية 125)

ومن القول الحسن أيضاً : حسن المناداة للطرف الآخر، واختيار أحب الأسماء إليه، وقد تأدب الأنبياء بهذا الأدب في خطابهم لأقوامهم، فقد كان يقول الرسول لخصومه المعاندين: (يا قوم) في تودد وسماحة وتذكير بالروابط التي تجمعهم، ليستثير مشاعرهم، ويطمئنهم فيما يدعوهم إليه(بن عبدالله، 2004، 20)

ثانياً – التعريض والتلميح بدلاً عن التصريح اثناء الاختلاف:

إن لفت النظر إلى الأخطاء من طرف خفي، وتجنب اللوم المباشر، وعدم تخطئة الطرف الآخر بعبارة صريحة، كل ذلك له أثره في تسليم الخصم للحق والرجوع عن الخطأ، فالنفوس غالباً لا تتحمل أن تواجه بقوة وصرامة، وهناك من الألفاظ الموحية والكلمات اللطيفة والتي تؤدي الغرض نفسه، دون جرح لمشاعر الآخرين، أو إشعارهم بالذل والهزيمة(بن عبدالله، 2004، 20)

ثالثاً – ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه بالحق:

إن الكلام عن النفس ومدحها والثناء عليها مذموم غالباً، ولا يحب الناس أن يسمعوا ممن يملأ آذانهم بمناقبه وسيرته وأحواله وتقلباته، بل إن من يفعل ذلك ويفرح به ويكثر منه يعد ناقصاً في عقله، أو ربما فاسداً في نيته وقصده، وكما قال الإمام مالك: " إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه"(الذهبي 1985، 109/8)

وقد نهى الله – عز وجل – عن تزكية النفس والتمدح بطهارتها فقال سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾(سورة النجم، الآية 32) وعاب أناساً فعلوا ذلك فقال فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾(سورة النساء، الآية 49) وفي المقابل فإن مدح الآخرين وإطراءهم والثناء عليهم بما ليس فيهم، وتجاوز الحد في ذلك، كل هذا مذموم ممقوت أيضاً؛ ولكن قد تكون هناك حالات يحتاج فيها المحاور إلى أن يثني على نفسه بالحق، لتحقيق غرض معين، كأن يشعر خصمه بمقدار علمه في موضوع الحوار أو في مسألة من مسائله، أو لينفي عن نفسه تهمة أو طعناً في صدقه وأمانته أو نحو ذلك، فهنا قد يسوغ ذكر شيء من محاسن النفس بقدر وبحق، وكذا قد يحتاج المحاور إلى أن يثني على الطرف الآخر – بالحق – لتحقيق غرض معين، كأن يكون القصد إشعاره بالتقدير والاحترام، والاعتراف بفضله أو علمه(بن عبدالله، 2004، 22)

رابعاً – محذورات لفظية في الخلاف:

إن للسان سقطات، وللكلام زلات، والمسلم مأمور بحفظ لسانه، كما أنه مأمور بطيب الكلام، وأن يقول خيراً فيغنم، أو يسكت فيسلم، ويسلم الآخرون منه(المرداسي، د.ت، 19)، وهناك أمور قد يقع فيها اللسان فتورد صاحبها الموارد، وقد تهوي بالحوار وتعطل سيره أو تحوله إلى جدل عقيم، أو تبادل سباب وشتائم، ولذلك ينبغي للمحاور أن يحذرها، فمن هذه المحذورات:

1 – اختيار الألفاظ والمعاني التي تقود إلى الجدل في الخلاف، أو تستثير الفتن والمشكلات.

2 – إظهار التفاصح والتشدق في الكلام، تيهاً على الآخرين واستعلاء.

3 – الغيبة: فإن المناظر لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته، فيحكي عنه ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله، وهو الغيبة

4 – الكذب: ربما لا يقدر المناظر على محاورة خصمه في الاختلاف، فيلجأ إلى الكذب عليه، فينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم، تغطية لعجزه فيقع في الكذب

5 – تزكية النفس والثناء عليها بالقوة والغلبة والتقدم على الأقران(بن عبدالله، 2004، 24)، كقوله: لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور ونحو ذلك مما يتمدح به على سبيل الادعاء.

6 – الاستئثار بالكلام دون الطرف الآخر، والإطالة الزائدة عن حدها وعدم مراعاة الوقت في أثناء الكلام.

7–اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر، كقوله "أخطأت"، "سأثبت لك أنك مخطئ جاهل" ونحو ذلك مما يجرح الطرف الآخر.

8–رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع، ففي ذلك رعونة وإيذاء.

9–الهزء والسخرية، وكل ما يشعر باحتقار الطرف الآخر.

10– استعمال الألفاظ الغريبة ، والأساليب الغامضة، والعبارات المحتملة تلبيسا على الطرف الآخر، تمويها للحقيقة إلى غير ذلك من المحذورات التي يجب على المحاور أن يبتعد عنها تشتمل على تركيب يتنفر الطبع منه(بن عبدالله، 2004، 24؛ المَشَاعِلِيَّ، د.ت، 98)

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيحسن بعد التفصيل إجمال ما أحسبها من نتائج مهمات في بحثي هذا وهي كما يأتي:

1- الاختلاف بين الفقهاء فطرة وسنة الله في خلقه.

2- في الاختلاف الفقهي سعة ورحمة للخلق، لأن فيه تعدد وتوسع الآراء.

3- لكل اختلاف آداب في المحاورة يجب أن يلتزم بها الفقيه.

4- لهذا الأدب ثمرة وهي اظهار دعوة السلام بأبهى صور الرحمة واللين عند المحاورة والاختلاف في الآراء.

5- استعمال الالفاظ الطيبة في الحوار دليل على غزارة العلم لدى الفقيه.

6- الاحترام في الاختلاف الفقهي منهج أهل العلم، فإن كل قول مستند إلى دليل؛ له من المكانة والمنزلة.

هذاجهد المقل، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله تعالى أن ينفعنا وينفع بنا، والحمد لله رب العالمين.

التوصيات العملية:

دعوة المؤسسات الأكاديمية لتدريس "مادة آداب الاختلاف" كمساق مستقل.توصية للباحثين بدراسة "أثر وسائل التواصل الاجتماعي على آداب الحوار الفقهي"

المصادر

1. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (د.ت) .**فتح السلام شرح عمدة الأحكام**، جمع وتهذيب وتحقيق عبد السلام بن محمد العامر
2. الإزيرجاوي، سعاد كريم خُشيف بندر .(2002) .**الجوابات في التعبير القرآني الكريم** بإشراف كاصد ياسر الزيدي.
3. بن عبد الله، عمر .(2004) .**آداب الحوار وقواعد الاختلاف** .اللجنة العلمية للمؤتمر العلمي: موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد، المملكة العربية السعودية.
4. البيهقي، أحمد بن الحسين .(2017) .**المدخل إلى علم السنن** (تحقيق محمد عوامة، ط1). دار اليسر للنشر والتوزيع؛ دار المنهاج للنشر والتوزيع.
5. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان .(1985) .**سير أعلام النبلاء** (تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط3). مؤسسة الرسالة.
6. زمزمي، يحيى بن محمد حسن بن أحمد .(1994) .**الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة** (ط1). دار التراث؛ دار رمادي الشام.
7. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر .(2000) .**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1). مؤسسة الرسالة.
8. شرف الدين، جعفر .(2000) .**الموسوعة القرآنية: خصائص السور** (تحقيق عبد العزيز بن عثمان التويجزي، ط1). دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

9. الشوكاني، محمد بن علي. (د.ت) .**الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني** (تحقيق وترتيب محمد صبحي بن حسن حلاق). مكتبة الجيل الجديد.
10. المرداسي، عبد الملك بن حبيب. (د.ت) .**عمدة البيان في معرفة فروض العيان**.
11. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،. (د.ت) .**صحيح مسلم** (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي). دار إحياء التراث العربي.
12. المشاعلي، صالح حسين. (د.ت) .**المقدمة المنطقية التي لا يسع الطالب جهلها** .المكتبة الذهبية الشاملة.

References

1. Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn ʿAlī. (n.d.). *Fatḥ al-Salām: A commentary on ʿUmdat al-Aḥkām* (Compiled, edited, and verified by ʿAbd al-Salām ibn Muḥammad al-ʿĀmir).

2. Al-Izirjāwī, Suʿād Karīm Khushayf Bandar. (2002). *Al-jawābāt fī al-taʿbīr al-Qurʾānī al-karīm* (Supervised by Kāṣid Yāsir al-Zaydī).

3. Ibn ʿAbd Allāh, ʿUmar. (2004). *Ethics of dialogue and rules of disagreement*. Scientific Committee of the Conference *Islam's Position on Terrorism*, Imam Muḥammad University, Saudi Arabia.

4. Al-Bayhaqī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn. (2017). *An introduction to the science of Sunan* (Muḥammad ʿAwwāmah, Ed.; 1st ed.). Dār al-Yusr for Publishing and Distribution; Dār al-Minhāj for Publishing and Distribution.

5. Al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn ʿUthmān. (1985). *Siyar aʿlām al-nubalāʾ* (Shuʿayb al-Arnāʾūṭ et al., Eds.; 3rd ed.). Muʾassasat al-Risālah.

6. Zamzamī, Yaḥyā ibn Muḥammad Ḥasan ibn Aḥmad. (1994). *Dialogue: Its ethics and regulations in the light of the Qurʾān and Sunnah* (1st ed.). Dār al-Turāth; Dār Ramādī al-Shām.

7. Al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir. (2000). *Taysīr al-karīm al-raḥmān fī tafsīr kalām al-mannān* (ʿAbd al-Raḥmān ibn Muʿallā al-Luwayḥiq, Ed.; 1st ed.). Muʾassasat al-Risālah.

8. Sharaf al-Dīn, Jaʿfar. (2000). *The Qurʾānic encyclopedia: Characteristics of the sūrahs* (ʿAbd al-ʿAzīz ibn ʿUthmān al-Tuwayjizī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Taqrīb bayna al-Madhāhib al-Islāmiyyah.

9. Al-Shawkānī, Muḥammad ibn ʿAlī. (n.d.). *Al-Fatḥ al-rabbānī: From the legal opinions of Imām al-Shawkānī* (Muḥammad Ṣubḥī ibn Ḥasan Ḥallāq, Ed.). Maktabat al-Jīl al-Jadīd.

10. Al-Mirdāsī, ʿAbd al-Malik ibn Ḥabīb. (n.d.). *ʿUmdat al-bayān fī maʿrifat furūḍ al-aʿyān*.

11. Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Naysābūrī. (n.d.). *Ṣaḥīḥ Muslim* (Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī, Ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

12. Al-Mashaʿalī, Ṣāliḥ Ḥusayn. (n.d.). *Al-muqaddimah al-manṭiqiyyah allatī lā yasaʿ al-ṭālib jahlahā*. Al-Maktabah al-Dhahabiyyah al-Shāmilah.